العرب
الخميس 2020/03/26
السنة 42 العدد 11658

الأدباء والفنانون أول من وقف ضد الظلاميين

الأرشيف الثقافي للثورات العربية بين التوثيق والرهان الفني

لا شك أن الفنون وعموم أجناس الأدب والإبداع تتأثر بما يحدث في الواقع، لكن التأثر مختلف، فهناك من المبدعين من ينخرط مباشرة في التفاعل مع الواقع من خلال أعماله، وهناك من يختار التمهل، فالإبداع متواصل بينما الحدث يولد ويموت بسرعة، ولا كانت المعادلة الضرورية للمبدعين بين التفاعل الحيني والتمهل.

وارد بدر السالم
روائي عراقي

منذ الأزمة التي خلقتها ثورات وانتفاضات الربيع العربي التي جاءت بالمتطرفين وعبيد المال والطائفية والمذهبية بعد سقوط عدد من السلطات الدكتاتورية؛ سجّل الأدب العربي حضوراً لافتاً؛ سرداً وشعراً ومقالات ومواجهات نقدية فاصلة في أكثر من بلد عربي؛ في انعكاسات نفسية وكتابية طبيعية لمجمل الحراك الشعبي العام.

وقرأنا إثر الثورات روايات وقصائدَ ومعالجات أدبية واجهت فقهاء الظلام وفضحت أفكارهم السوداء، في تعقيداتهم الفقهية التي تتخللها فتاوى جاهلية تعيد الحياة إلى الوراء أمام عالَم يتقدم ويعمل ويُنجز ويُبدع ويقطع أشواطاً في تجميل الإنسانية والحياة المتحضرة.

مبدعون في المواجهة

كان مثل هذا المنجز الأدبي يتقدّم كثيرا في أكثر من بلاد عربية، ناقدا ومحللا، وكاشفا الكثير من الأخطاء السياسية والاجتماعية التي يمرّ بها العالم العربي. فبدت تلك الثورات وكأنها كشّاف للمجتمعات العربية حتى أيقظتها من سباتها الطويل.

> هناك أدب عام يكتب قبل الثورة أو بعدها يهتم بالجانب الفني، وأدب سريع يقع ضمن التصنيف الأرشيفي

وكانت الرواية مثل غيرها من الفنون قد استعدت للأحداث الكثيرة المفاجئة التي حاولت أن تثني مسيرة الحياة العربية في هذا البلد أو ذاك بالقديم البالي من الأفكار المتطرفة والتخويف المسلح والإرهاب الفكري والعقائدي، التي أورثتها الكتب الصفراء ذات المعاني الفجّة منتهية الصلاحية والتي لا تتماشى وعصرية الحياة، فهضمت العديد من أفكار مرحلة ما بعد الربيع العربي وأنتجت الكثير من النصوص في هذه المرحلة الرمادية التي حاولت أن تطيح بالكبرياء العربية من منافذ كثيرة.

ونعتقد أن الأدب بأجناسه الكثيرة والفنون بأنواعها استوعب هذه الصدمة وأضاء للقارئ ما يتوجّب إضاءته من أفكار مضادة تعين على استدراك ما جاءت به الجهات الظلامية الكثيرة.

وعلى هذا الشكل لم تبقَ القصيدة متفرجة على السلوك الفوضوي الذي حاول تقزيم المساحة العربية المفتوحة إلى صناديق سوداء، فساهمت بخلق حالة من التفاعل الإيجابي بينها وبين أطياف قارئة تعنيها ومضات الشعر والتماعته النفسية وهي تطرق أبواب الأمل في كل لحظة. ومثلها بقية الفنون التي تضامنت تضامنا كليّا في درء الفتنة وفضحها صراحة، ومنها الفن التشكيلي الذي خلق موازنة صحيحة بينه وبين البصريات اللونية التي غصّت بها قاعات المعارض.

ولعل الأفلام التسجيلية والوثائقية قد لعبت دورا حاسما في إيصال عشرات ومئات المشاهد إلى العالم، لتكشف بشاعة ما حصل في المناطق العربية من قبل الإسلام المتطرف كداعش والقاعدة وشبيهاتها في الدموية والحقد على الإنسانية في كل مكان.

وكانت المشاهد الصادمة والترويعية التي رآها العرب قبل غيرهم، تشكّل لونا من ألوان الحقد الأسود على الحياة؛ كتابة وبصريات ورؤى وسماعا؛ قد كوّنت أرشيفا أدبيّا وفنيّا عربيّا كبيرا كشهادات صادمة في زمن متحوّل إلى ضدّه تسبّبت به تلك الجماعات المارقة وأشاعت الجهل والأمية والموت المجاني في كثير من فعالياتها.. فمَن يجمع هذا الأرشيف الأسود الضخم ليكون دليلا إلى أجيال المستقبل من قرّاء وباحثين وأكاديميين ونقّاد وروائيين وتسجيليين وشعراء وسينمائيين وتشكيليين؟ خاصة ونحن في عصر الأرشفة الإلكترونية الذكية السريعة. بما يتيح الإنجاز السريع والدقيق لكل تلك السنوات المريرة التي ما تزال معطياتها تحفر في الوجدان العربي.

ما بعد الحدث

أمام كل هذه المتغيّرات السلبية منذ سنوات غير قليلة يمكن أن نتساءل: هل يتغيّر الأدب فجأة بوجود ثورات وانتفاضات وتظاهرات كبيرة تتوخّى تغيير الأنظمة السياسية الفاسدة؟ وهل يمكن أن ننتظر ما يمكنه من أن يعبّر جماليا عن مثل هذا الحراك الشعبي والجماهيري بأن تتحوّل أفكار الثورات وأهدافها إلى كتابات في ملاحم وشعريات وسرديات تاريخية كبرى وسيَر جمالية كما يحدث في العراق وليبيا ولبنان؟

في السياقات العامة لدينا أدب عام يُكتب قبل الشروع بالثورة، وهو أدب يومي يتقصّى الواقع ومشتقاته من دون نبوءات مسبقة تمهد للثورة، لكنه ربما بسبب الفساد السياسي والطائفي قد يكون محرّضاً للجماهير بشكل أو بآخر مع تواتر الزمن. وهو أدب قد يبدو ظرفيا في معالجاته الواقعية والفنية ويقترب من الوثائقية إلى حد كبير بطريقة القناع أو التورية، لكنه يحاول خلخلة مفهوم الكتابة القارّة وينتج صوته في مثل تلك الظروف، غير أنّ هذا الأمر لا يحدث كثيراً أثناء الثورات التي تحرر الكتابة من أسباب توريتها وأقنعتها، حيث تكون الكتابة مباشرة وسريعة وقلقة؛ لاسيما وأن الكثير من الثورات العربية كانت تُبث على الهواء لحظة بلحظة عبر النقل الفضائي.

وبالتالي فإن المدوّنات الأدبية السريعة تقع ضمن التصنيف الأرشيفي حتى لو افتقدت بعضاً من الشروط الفنية، فهي خارجة من مطابخ الثورة وأفرانها. عالقة فيها أصوات البشر وهيئاتهم المختلفة ومشاعرهم المكبوتة ورؤاهم المتعددة وهم يستعدون لإخراج الحرية التي ينتظرونها جيلا بعد جيل.

لكن ما يُكتب بعد الثورات هو نقل التوصيف إلى مستوى فني آخر. ولنقُل نقل خيال الكتابة إلى هذا المستوى وليس نقل الثورة بوصفها منجزا ميدانيا متحققا. فالثورة تتحقق بنتائجها مهما كانت. أما الكتابة فهي ذات بُعد ديناميكي آخر يُستشَف فنيا مع الوقت المتكرر والذاهب إلى مستقبل السرد أو الشعر أو الفنون الأخرى، لذلك ومع المستقبل نحتاج إلى مثل هذا الأرشيف الثقافي الثابت بالمسح والتحليل ووضع قاعدة بيانات عامة تسهيلا للمراجعة والمطالعة، وكشف الحقائق الكثيرة التي قد يزوّرها الزمن، أي ننتقل معه من العصر الورقي إلى العصر الإلكتروني ما دامت وسائل التواصل والتوصيل دقيقة. وهذا التدوين الضروري هو مسك الحاضر والماضي بقوة بدلا من التشتت في المصادر الورقية المتعددة، لنكون أقرب إلى الوثيقة المهمة التي عاصرت الحدث وتبنّته وكتبتْ عنه.

مثل هذا الأرشيف الثقافي الضخم سيعكس الصورة الواضحة لما مضى من أحداث وانتفاضات وثورات وتغييرات بنيوية في الجسد العربي وعقليته؛ لأجيال الكتابة والقراءة مستقبلا.

الإبداع والثورة في علاقة تأثير وتأثر

شاعران سعوديان نجما الحلقة 14 من «شاعر المليون»

أبوظبي – انطلقت أخيرا، على مسرح شاطئ الراحة في أبوظبي ثاني حلقات المرحلة الثالثة (الحلقة 14) من برنامج "شاعر المليون" في موسمه التاسع، وقد بُثّت الأمسية على قناتي بينونة والإمارات.

وبالتزامن مع إرشادات الوقاية والسلامة حفظاً للإمارات وشعبها والمقيمين على أرضها، ومع ترداد شعار خلّيك بالبيت، و"لا تشلون هم" التي زينت إطلالات الشعراء التمهيدية قبيل مشاركاتهم في الأمسية، وجّه الإعلاميان أسمهان النقبي وحسين العامري تحية الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة التحكيم المؤلفة من الأستاذ والباحث والروائي سلطان العميمي، مدير أكاديمية الشعر في أبوظبي، والدكتور غسان الحسن، والشاعر حمد السعيد، وعضوي اللجنة الاستشارية للبرنامج الأستاذين تركي المريخي وبدر صفوق.

وعُرض في مطلع الحلقة تقرير استعاد أهم محطات الأمسية السابقة من البرنامج، الذي تنظمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، في إطار استراتيجيتها الثقافية الهادفة لصون التراث وتعزيز الاهتمام بالأدب والشعر العربي، والتي تأهّل فيها بقرار لجنة التحكيم الشاعران عبدالمجيد سعود الغيلاني ومبارك بالعود العامري بنتيجة 47 من 50 لكل منهما، تلاه الإعلان عن نتائج تصويت المشاهدين من خلال موقع وتطبيق شاعر المليون الذي استمر طوال أسبوع كامل، وأسفر عن تأهل المتسابق مطرب بن دحيم العتيبي بنتيجة 92 في المئة، أما بقية الشعراء غير المتأهلين فجاءت نتائجهم كالتالي: عبدالعزيز العبلان الديحاني بنتيجة 46 في المئة، وكل من أحمد بن جدعان العازمي وراكان بن وليد الراشد بنتيجة 43 في المئة.

وشهدت الأمسية الرابعة عشرة مشاركة متميزة للشعراء أحمد بن عايد البلوي، خالد القصيري الجهني، محمد الحمادي العتيبي، محمد البندر المطيري وصالح محمد العنزي من السعودية، ومزيد بن جدعان الوسمي من الكويت.

وكان الشاعر أحمد بن عايد البلوي أول المتسابقين ضمن الأمسية، مع قصيدته المتميزة حول طموح الشاعر، والتي أشادت لجنة التحكيم بشاعريتها العالية، مؤكّدةً قدرة الشاعر على خلق أسلوبه الخاص في التعبير عن فكرته بأسلوب يُرضي الذائقة، يقوم على ترابط البناء وجزالة القصيدة.

وتلاه المتسابق الثاني خالد القصيري الجهني مع قصيدة "حلم أم" التي يصوّر فيها حلم الأم برؤية ابنها الشاعر حاملاً بيرق الشعر، مع ما حملته من رمزية المراحل التي مر بها الشاعر ضمن البرنامج، وقد أخذت عليه لجنة التحكيم أسلوبه المدحي لذاته وكفاءته كشاعر، والنمطية والتكرار في القصيدة.

أما المتسابق الثالث صالح محمد العنزي فقد تميز بموقف تخليد وتكريم أثر الراحل محمد بن خلف المزروعي، واستذكار عشقه للثقافة والتراث، مساهما في بناء صرح الثقافة في إمارة أبوظبي، في قصيدةٍ أجمعت لجنة التحكيم على الإشادة بما حملته من صفات الإنسان موضوع القصيدة. أما المتسابق الرابع محمد البندر المطيري من السعودية فقد تفرّد بقصيدته في وصف نوح الحمام ودوحه في فضاء الحرم المكي الشريف، بعد خلوه من المصلين والطائفين، حيث رأت اللجنة في القصيدة لقطة شاعر استوحاها من خلو صحن الكعبة المشرفة بسبب الوباء ورؤيته حمام الحرم يحوم فوقه ويطوف فيه، معتبرةً أن الشاعر استطاع أن يفرش بلقطته الشعرية عالماً من الدلالات والجماليات.

المتسابق الخامس ضمن الأمسية الجديدة كان محمد الحمادي العتيبي مع قصيدة حب ووصف شعري بديع لمهرته غادة، وقد أشاد سلطان العميمي بما تضمنته من مغامرة ناجحة للشاعر في وصف مهرته، وُفِّق فيها في إيصال علاقته بمهرته وافتقاده لها، معتبراً أن الحديث عن الخيل والفروسية قديم في الشعرية العربية؛ لما للخيل من أهمية في حياة الإنسان العربي، حيث تتميز القصيدة بتفاصيل الخيل وجمالها ومشيتها بما يعكس العلاقة المتأصلة للشاعر مع خيله.

وكان مزيد بن جدعان الوسمي من الكويت المتسابق السادس في الأمسية مع قصيدته الحكمية الإنسانية التي أشادت لجنة تحكيم البرنامج بها وبتعبير الشاعر فيها عن ذاته ومكنونات نفسه، في صراعه مع الذات والآخر، وبما عكسته من مواقف فلسفية وتأملية لمحيط الإنسان وحياته وإنجازاته، والتي رأت اللجنة أنّ الشاعر أبدع فيها بتعبيره الشعري الجميل مع تنوع الصور بين الواقع المباشر والرمزية والخيال الشعري.

وضمن فعاليات الأمسية كان عشاق الشعر النبطي خلف الشاشات من المحيط إلى الخليج على موعد مع مشهدية شعرية فنية مبدعة بأداء الفنان الإماراتي الوسمي وألحان الفنان فايز السعيد، لكلمات قصيدة الشاعر الإماراتي أحمد عبدالرحمن بوسنيدة.

والتزاماً بالمعيار الثاني ضمن الأمسية والمُتضمِّن مجاراة الشعراء لأبيات فن الشقر والكتابة على نمط أبيات الشاعر الإماراتي أحمد عبدالرحمن بوسنيدة. وأجمع أعضاء لجنة التحكيم على إجادة معظم الشعراء مجاراة أبيات الشاعر الإماراتي أحمد بوسنيدة، إلا متسابقاً واحدا أضاعَ الوزن في المربوع الثاني.

وختاماً للأمسية، تم عرض تقرير سريع استعراضي لمجريات الحلقة والمشاركات المتميزة للشعراء، تلا ذلك إعلان قرار لجنة التحكيم بتأهيل الشاعرين السعوديين محمد البندر المطيري بنتيجة 49 من 50 والشاعر محمد الحمادي العتيبي بنتيجة 48 من 50، بينما جاءت نتائج الشعراء الأربعة الذي سينتظرون تصويت المشاهدين من خلال موقع وتطبيق شاعر المليون طوال أسبوع كامل، على النحو التالي: 47 من 50 للشاعر أحمد بن عايد البلوي، و44 من 50 للشاعر خالد القصيري الجهني، و43 من 50 لكل من صالح محمد العنزي ومزيد بن جدعان الوسمي.

> شعراء «شاعر المليون» يقتربون من البيرق بحماسة وتألق ضمن الأمسية الثانية من المرحلة الثالثة من البرنامج

وأعلنت لجنة تحكيم البرنامج أن الحلقة الخامسة عشرة (قبل النهائية) سيتم بثها يوم السبت 28 مارس الجاري، فيما سيتم بث الأمسية النهائية (تتويج البيرق) يوم الثلاثاء 31 مارس على قناتي بينونة والإمارات.

أما شعراء الأمسية الخامسة عشرة ما قبل الختام، فهم عبدالمجيد سعود الغيداني، مطرب بن دحيم العتيبي ومحمد البندر المطيري ومحمد الحمادي العتيبي من السعودية، مبارك بالعود العامري من الإمارات، إضافةً إلى الشاعر المتأهل بتصويت المشاهدين مع بداية الأمسية نفسها.

الشعراء يقتربون من اللقب